أكبر من الكمية، ومن التكنولوجيا. أحد هذه الابعاد يمكن ان يتحقق بواسطة الحيّل المركبة الناجمة عن الاستغلال السليم لبعد حشد القوى؛ اذ ان نوعية الحشد يمكن ان تحقق فائدة تفوق فائدة نوعية وسائل القتال. وثاني هذه الابعاد يتمثل في فن الحرب؛ ويتم ذلك من خلال الدمج على المستوى التكتيكي، والاستراتيجي، على حد سواء، بين أربعة عناصر أساسية: محاربين، وقادة مفكرين، ووسائل القتال، وعوامل الساحة (الارض والجو والبحر). أي يمكن ان يتحدد فن الحرب بواسطة القدرة على تحقيق أنواع مفضلة من عمليات الدمج التي تنطوي على حيلة بواسطة ما هو متاح فعلاً.

ولأن الدمج هو ظاهرة ذهنية، فان هناك أهمية فائقة لأن يحرص القادة السياسيون والعسكريون على تنميتها في صفوف افراد الجيش، وذلك من أجل خلق قيادات نوعية تتمتع بالقدرة والذكاء لتدبير الحيل. وفي رأيه، ان من شأن اسلوب تأهيل القادة ان يخدم الجيش بصورة تفوق الخدمة التي يؤديها التطوير التكنولوجي.

اصالة التفكير

على غرار باعيل، شكّك د. ايلان عاميت في جدوى التصعيد التكنولوجي، كخيار سحري لحل معضلة اسرائيل الامنية، لأن اسرائيل لن تستطيع تحمّل اعبائه المالية والبشرية؛ كما انه ليس في امكان التكنولوجيا المتفوقة ان تحل محل العناصر الاساسية التقليدية في الفكر العسكري.

ومن وجهة نظره، فان الصعوبات التي تطرحها متغيرات ميدان المعركة من شأنها ان تؤدي الى اعادة النظر في مفاهيم الامن الاسرائيلية الاساسية؛ بيد ان التكنولوجيا على غرار نظام الرقابة، والسيطرة على الميدان، ليست هي مفتاح حل تلك المشكلات، وانما يتوجب البحث عن هذه الاجوبة في العامل البشري نفسه، في ما يطلق عليه «المبادىء الخمسة» التي تكون بعد الاصالة في التفكير والدافع، وهي: الحكمة (القدرة على التكهّن)، والقوة (نوعية الجاهزية)، والشجاعة (الاستعداد لتحمّل المخاطر)، والمناعة، والبنية، وهذه الاخيرة تشمل الاسس التنظيمية لاستخدام الجيش.

دولة صغيرة متعاظمة القوة

على النقيض من الخيارات التي ألحّ عليها د. عاميت ود. باعيل، تطرح هذه المقاربة خيار التصعيد التكنولوجي المحض، باعتباره ينسجم مع مسار التاريخ. وحسب العقيد بنيامين، صاحب هذا الرأي، فان في امكان اسرائيل ان تحرز التفوق في مواجهة التفوق الكميّ عند العرب، من طريق التطوير الذاتي للتكنولوجيا، وليس الاقتصار على التحديث الهامشي لتكنولوجيا متطورة ومعروفة. ورأى ان هذا يتطلب ان تحرز اسرائيل تفوقاً، ايضاً، في مجال الخبرة، حتى على دول كبرى في هذا المجال. وبذلك، فان الاستغلال الفعّال للطاقة الكامنة في العلم والتطور التكنولوجي يمكن ان يتحول الى عنصر يعادل اعداداً ضخمة من السكان او الجنود. وللوصول الى تحقيق هذا الهدف، ينبغي، كنقطة انطلاق، اجراء تغيير في اسلوب التربية، والتدريب، المعمول بهما في الجيش الاسرائيلي، وذلك بتطبيق اساليب علم النفس والتربية الحديثة، لاختيار وانتقاء الاشخاص الموهوبين من بين المجندين للعمل في مجال تطوير التكنولوجيا.

ابعاد التثقيف

لكن الى أي مدى يعرف الجيش الاسرائيلي نفسه بأنه هيئة تثقيفية ؟ ما هي نوعية التثقيف التي ينبغي الاسترشاد بها ؟ هذان السؤالان يمكن اختبار اجابتيهما في ضوء خمسة مستويات، تشكل المجالات الاساسية للتثقيف القِيَمي في الجيش، وهي: العصرية، والديمقراطية، والصهيونية، والانسانية، والتمسك بالمهمة.

تقتضي العصرية تنمية افراد عصريين يفكرون، ويتصرفون، بطرائق عصرية. وسمات ذلك: التفكير الذكي، عملياً وعقلانياً، والادراك، والشك، والنقد، وتنمية القدرة على المبادرة. العصرية، اذاً، تتعلق بالتصارع مع البدائية، والتخلف. ويتمثل بُعد الديمقراطية في تنمية مناخ يسمح بالاعراب عن الرأي. اما في